بذلها ، وبحيث يضمن انفراده وانفراد بلاده بالحل بمعزل عن القوى الكبرى الاخرى ، فضلا عن أن هذا الاسلوب يتفق تماما مع ميول شخص مثل كيسنجر لا موضع في تفكيره أو في نشاطه السياسي للجماهير ، ولا اهتمام بالرأي العام . وسرية كيسنجر في فييتنام واضحة من مرحلة المفاوضات السرية التي استغرقت حوالي أربعة أعوام ، وواضحة في الشرق الاوسط في اتفاقات فصل القوات ، التي تشير مصادر كثيرة الى أنه صاحبتها اتفاقات سرية لم تعلن بعد ، وقد أثير ذلك في الفترة الاخيرة بشكل خاص مع اعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، اذ تحدثت اسرائيل عن تعهد مصري بالسماح للبضائع الاسرائيلية بالمرور(٥) .

ب ــ التدخل للانتقال بالمشكلة من مرحلة « السخونة » الى « البرودة »، فالسخونة تجعل التدخل مقبولا وتخلق استجابة لدى أطراف النزاع لذلك، والانتقال الى « التبريد» يعني أن هناك انجازا قد تحقق ، لا يتورع كيسنجر ــ ومحيطوه ــ عن تضخيمه وتصويره على أنه خطوة كانت مستحيلة لولا لمسات يد الساحر العجيب الدكتور كيسنجر ، وفي نفس الوقت يتخذ كيسنجر ذلك وسيلة لابطاء الحل ، والتسويف والمماطلة ، ما دام أن خطوة عظيمة قد تحققت .

ج ــ يرتبط بذلك الاقدام على خطوة تستهدف نزع فتيل الاشتعال من الموقف المتفجر، وهي خطوة تعني بالاساس وضع الموقف بالكامل تحت سيطرة كيسنجر ، بواسطة محاولة اقناع طرفي النزاع بأنه ليس في الامكان أبدع مما هو كائن حاليا ، ولفترة ما ، وبحيث يصير وجود كيسنجر نفسه هو عامل التوازن في الموقف ، ويخشى كل جانب من أن ينسحب الرجل « المعجزة » من الساحة فينهار كل شيء ، في وقت يرى كل طرف انه غير ملائم له . وبالطبع ، فان التهديد الكيسنجري بين وقت وآخر بالانسحاب أمر وارد ، مع الاشارة بطرف العين الى طرفي النزاع بأن الكارثة واقعة لا محالة اذا انسحبت . ولاسباب عديدة ، لم يستطع كيسنجر أن يزاول هذه الهواية في فييتنام ، وبرع في ذلك في الشرق الاوسط طوال عام ١٩٧٤ بشكل خاص ، بل كانت براعة كيسنجر الحقيقية وقمة نجاحه هي غزو الوطن العربي على انه حكم في الصراع العربي ــ الاسرائيلي وليس طرفا فيه . وهذا لا يعود الى عبقرية كيسنجر ، بقدر ما يعود الى سيادة جو معين في القيادة العربية مكنه من تحقيق ذلك . وان كان هذا لا يقلل من شأن نجاح كيسنجر في اهتبال فرصة ــ تكاد تكون نادرة ــ وجدها متاحة له .

د ــ التقدم على طريق الحل يعتمد أسلوبا ذا شقين : الاول : عدم طرح اي حل شامل أو كلي للمشكلة بدعوى أن ذلك يبرز جوانب الخلاف بين الاطراف ولا يساعد على تحقيق الاتفاق ، الثاني : تجزئة المشكلة الى العديد من القضايا الفرعية ، التي لا يتم الاقتراب منها مرة واحدة ، وانما على فترات متباعدة ، بحيث لا يرتبط اي أجزاء المشكلة ببعضها ، وبحيث لا يكون هناك التزام محدد بأن حل جزء معين من المشكلة لا بد وأن يتلوه حل جزء آخر . لقد بدأ كيسنجر بفصل القوات في سيناء ، ثم تلاه فصل القوات في الجولان ، هذه الخطوة الثانية كان يمكن ان لا تحدث بالضرورة ، اذ كان يمكن أن يحل محلها خطوة أخرى في سيناء نفسها ، أو في الضفة الغربية ، وهكذا . وترتيب هذه الخطوات لا يخضع ــ في تقدير كيسنجر ــ إلا لما يريده ويتوخاه كيسنجر نفسه .

هـ ــ المزاوجة والمراوحة بشكل شبه دوري وبشكل متعمد بين القوة والدبلوماسية، بين المفاوضات والقتال، بين اختلال التوازن العسكري والتهديد بالقتال، فالدبلوماسية في قاموس كيسنجر لا تظهر الا مقترنة بالقوة ، وهو يعتقد أن « الدبلوماسية التي لا ترتبط ارتباطا وثيقا باستخدام القوة هي دبلوماسية عقيمة »(٦) كما ان استخدام القوة من دون الدبلوماسية يسبب « تهورا وقت الانتصار وذعرا وقت المحن »(٧) .